

دعوة ولي أمرنا في الجزائر إلى المصالحة الوطنية باب من أبواب الرحمة

هذا البحث مستل من كتابي فتح الرحمن فيما في الصلح بين المسلمين وأعدائهم من قوة وأمان يسر الله ظهوره

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)) آل عمران: 102.

((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً

كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)) النساء: 1.

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن

يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)) الأحزاب: 70-71.

أما بعد:

فإنّ أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُّ محمد صلى الله عليه وسلم، وشرّ الأمور

مُحدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

وبعد:

من طالع سيرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وجد أنه أشفق الناس، كيف لا وقد قال جلّ

شأنه: [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين]، وقال تعالى: [لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه

ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم] وقد صحّ عنه أنه قال: (أنا نبيّ الرحمة)، وفي رواية

أخرى: (أنا رحمة مهداة)، وقال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: (إني لم أبعث لعاناً،

وإنما بعثت رحمة)، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال: (أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبيّ التوبة ونبيّ الرحمة)،

فواجب على من رضي به رسولا أن يسلك منهجه في رحمة الخلق والشفقة عليهم، فهو صلى الله

عليه وسلم أسوتنا الحسنة لقوله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

والرحمة أمر فطري جُبل عليه الخلق من البشر والبهائم والطيور، ولو هذه الرحمة والشفقة لصعبت

الحياة للمخلوقات على وجه الأرض، وهذه الرحمة التي يتعايش بها الخلق جزء من مائة جزء التي

أنزلها الله بين الجن والإنس والبهائم والحوام، فيها يتعاطف الإنس، وبها يتراحمون، وبها يتصالحون، وبها يتنازلون عن بعض حقوقهم لتحقيق المصلحة العظمى من وحدة الصف، وجمع الكلمة، والقضاء على منابع الفتن، وفضل القائم برحمة الخلق كبير عند الله تعالى، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمت ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منها تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمها ابنتها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إن الله قد أوجب لها بها الجنة، وأعتقها بها من النار) 1.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء، الرحمة شجنة من الرحمن، من وصلها وصلته ومن قطعها بتته) 2.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) 3.

وعن عياض بن حمار أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (أهل الجنة ثلاثة؛ ذو سلطان مقسط، ومتصدق موفق، ورجل رحيم، رقيق القلب لكل ذي قربة..) 4.

وقد أخرج الحافظ البيهقي بإسناد جيد في كتابه العظيم شعب الإيمان (210/20)

برقم (10571) قصة بليغة، فيها عضة لكل من استهان بمرتلة الرحمة لو كانت مع البهائم، والعاقبة الحميدة لمن عاد إليها وتحلى بها، وتقرب إلى الله بتحقيقها، فأخرج بسنده رحمه الله إلى إبراهيم بن أدهم قال: بلغه أنه كان في بني إسرائيل رجل ذبح عجلاً بين يدي أمه فأبى الله يده، فبينما هو ذات يوم جالس إذا بفرخ قد سقط من وكره، وهو يتبصص إلى أبويه، وأبواه يتبصصان إليه، فأخذه وردّه إلى وكره رحمة له، فرحمه الله برحمته له وردّ عليه يده بما صنع. إن الرحمة رقة تفتضي الإحسان إلى المرحوم، ونعمة على المحتاج، هي كذا التخلص من أنواع الآفات، من حقد، وحسد، وكره، وحب للانتقام، ومطالبة بئار على طريقة أهل الجاهلية، ومن درس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بصورة علمية والإخلاص خلص نفسه من هذه الشرور، ورباها على معالي الأمور، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال صلى الله عليه وسلم: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة،

إذ عَرَضَتْ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَّالِ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بَقْرُنَ النَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي، فَانظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدَّوْا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلِكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلِكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشِيينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

رَحْمَةً، وَأَمَلٌ، وَانْشِرَاحُ صَدْرٍ... هَذَا هُوَ مَنْهَجُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْخَلْقِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، وَالرَّحْمَةُ بِهِمْ، بَعِيدٌ عَنِ حُبِّ الْإِنْتِقَامِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الْإِبَادَةِ الْجَمَاعِيَّةِ، وَمَلِيءٌ بِالْأَمَلِ وَبَعْدَ النَّظَرِ، فَأَيْنَ مِنْ ضَاقِ أَفْقِهِمْ، وَقَسَتْ قُلُوبَهُمْ فَصَارَتْ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً حِينَ كَفَرُوا أَبْنَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَوْهَامِ ثُمَّ ذَبَّحُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ مِنْ هَذَا الْأَثَرِ الْعَظِيمِ؟.

وَأَيْنَ الَّذِينَ أَبَادُوا قَرْيَ وَيِيوتَا بِالشَّبهِ وَالْأَهْوَاءِ؟

وَأَيْنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا التَّفْجِيرَاتِ الْجَمَاعِيَّةِ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ الْجِهَادِ؟ وَإِذَا سئَلُوا عَنِ الْأَبْرِيَاءِ الَّذِينَ لَا نَاقَةَ لَهُمْ وَلَا جَمَلَ بِأَيِّ ذَنْبٍ مَزَقَتْ أَشْلَاقَهُمْ؟، قَالُوا يَبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَاتِهِمْ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَأَيْنَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا فِي أَوْهَامِ الْمَطَالِبَةِ بِالثَّأْرِ، وَالْبِكَاةِ عَلَى الْأَطْلَالِ، وَاسْتَصْحَابِ الْحَزَنِ إِلَى أَمَدٍ غَيْرِ مُنْتَهِيٍّ مِنْ هَذَا الْأَثَرِ الْعَظِيمِ؟

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ أَعْرَبِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاولَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعُوهُ؛ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بَعَثْتُمْ مَيْسَرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُوا مَعْسَرِينَ.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ (رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي)، وَقَالَ عَيْسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي) وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلِّهِ مَا يَبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سُرَّضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ.

قال الحافظ النووي في شرح مسلم: (هذا حديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها: بيان كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم....

إن شفقة النبي صلى الله عليه وسلم لم تتوقف عند هذا الحد، بل أصابت كل ذات كبد رطبة. فعن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم، فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفاً أو حائش نخل، قال: فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جملٌ، فلما رأى النبيَّ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت، فقال: (من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟) فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله.

قال: (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله إياها؟ فإنه اشتكى إليَّ أنك تجيعه وتدثبه) 5. وعن سهل بن الخنظلية قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها سالحة، وكلوها سالحة) 6.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينما رجل يمشي بطريق، فاشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فتزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فتزل البئر، فملاً خفه، فأمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له) 7.

ومن النكت المليحة أن الإمام أبي داود أورد؛ حديث عبد الله بن جعفر، وحديث سهل، وحديث أبي هريرة، في كتاب الجهاد من سننه، بيانا منه رحمه الله أن الجهاد الذي شرعه الله باب من أبواب الرحمة لكل ذي كبد رطبة، وليس كما يتصوره جمع من الناس ممن امتلأت قلوبهم بالشبه والحقد على الخلق؛ أنه مجرد قتل، وذبح، وقطع للرؤوس بالفؤوس! من غير سياسة شرعية حكيمة، وأهداف سالحة سطرها العلماء الأبرار.

أسأل الله تعالى أن يوفق ولي أمرنا في الجزائر الغراء إلى جمع الكلمة على الحق الثابت، وإلى حقن دماء المسلمين، وأسأله تعالى أن يبصر الشعب الجزائري المسلم بقيمة العفو والرحمة، وبمترلة الصلح عند الله تعالى، وأسأله تعالى أن يهدي من بقي متعلقاً برؤوس الجبال، تائها في يَمِّ الأوهام، غارقاً في فكر الخوارج الأشرار إلى التوبة النصوح، والعود إلى الجادة، والتخلي عن الأعمال الإجرامية التي ليست من باب الجهاد في شيء، إنه ربي جواد كريم عفو رحيم، وصلي اللهم وسلم على نبي المرحة محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهامش:

- 1- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة.
- 2- إسناده صحيح أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما، انظر الصحيحة للعلامة الألباني برقم 925.
- 3- رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .
- 4- صحيح أخرجه الإمام أحمد، وأصله في صحيح مسلم.
- 5- صحيح أخرجه أبو داود في سننه (برقم 2542) ومسلم دون ذكر قصة الجمل.
- 6- أخرجه أبو داود في سننه برقم (2541) بإسناد صحيح.
- 7- متفق عليه .

وكتبه أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي الجزائري